Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لنا فى المدن تحصين وتنظيمٌ وتحسين
وتأييدٌ وتمكين منيعاتٌ معاقلُنا

وهذه الأبيات لمن خير ما قيل فى وصف الجيش المصرى، ولا شك أن رفاعة قد استلهم شعره من مفاخر الجيشفى عهده، فهو يصور العصر الذى عاش فيه تصويرًا صحيحًا، لا مبالغة فيه ولا إغراق، وإن قصيدته لتشبه أن تكون لوحة فنية يخيل لمن ينظر إليها أنه يلمح فيها كتائب الجيش المصرى تسير إلى ميادين الحرب، تحف بها أعلام النصر والظفر، تخوض غمار القتال، بقلوب ملؤها الشجاعة والإقدام، وتجابه الأخطار قوية الإيمان، ثابتة الجنان، مجهزة بالسلاح والمدافع «تجود به معاملنا»، ولو لم يشهد رفاعة مفاخر الجيش المصرى فى ذلك العصر، لما جادت قريحته بهذا الشعر، وهكذا يتأثر الشاعر والأديب بالعصر الذى يعيش فيه، والبيئة التى تحيط به، ويصور الحياة على عهده فكأنما هو قطعة من عصره، أو مرآة تنطبع فيها مشاهد الحياة السياسية والاجتماعية، ومظاهر الحالة الفكرية والأخلاقية.

وإنك لتلمح أيضًا عظمة الجيش المصرى من قول رفاعة فى قصيدة أخرى يخاطب فيها الجنود:

يا أيها الجنودُ والفادة الأسود
إنْ أمَّكم حسودُ يعودُ هَامِى المدْمَعِ
فكم لكُم حروبُ بنصركم تؤوبُ
لم تَثْنِكُم خُطوبُ ولا اقتحامُ مَعْمَع

* * *

وكم شهدتم منْ وغى وكم هزمتم مَنْ بغى
فمن تعدَّى وطغى على حِماكم يُصرَعُ

وتتجلى روحه الوطنية المتطلعة إلى الحرية فى تعريبه نشيد الحرية (المارسلييز)، فإن النفس لا تميل إلا إلى ما هو محبب إليها، فهذا النشيد قد استثار ولا شك إعجاب رفاعة رافع، حتى مالت نفسه إلى تعريبه، وإظهار ما احتواه من العواطف الوطنية الفدائية فى حلة عربية قشيبة.

وإذا تأملت فى شعر رفاعة رافع الذى نقلنا طرفا منه وجدت فيه تقدمًا نسبيًّا إذا قارنته بأسلوب شعراء المدرسة القديمة التى سبقته، كالشبراوى والعطار والخشاب وغيرهم، ويعد شعره دور الانتقال إلى دولة الشعر الحديثة التى حمل لواءها البارودى، وإسماعيل صبرى، وشوقى، وحافظ.